إعـداد الخـطـيب (دراسة تحليلية)

إعداد الدكتور / محمد رشاد عبد الله فرج
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد,,,

فإن الدعوة إلى الله تعالى واجبة على كل مسلم, كل على قدر طاقته وعلى حسب استطاعته, وهي على العلماء أوجب, قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤)

و الدعوة إلى الله تعالى لها وسائل عديدة في مقدمتها الخطابة, ثم تأتي بعد ذلك الكتابة والرسائل الدينية, والندوات الجماعية, والمحاضرات الحفلية وغيرها من الوسائل العديدة على طول التاريخ الإسلامي, بدءً بأفضل مخلوق وأسعد مولود معلم البشرية ومنقذ الإنسانية, المعلم الأكبر رسول الله ρ ومرورًا بالصحابة الكرام والتابعين والسلف الصالح, وعلماء الأمة الأخيار, وامتدادًا بعلمائنا الأجلاء في هذا الزمان وسيظل الأمر كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والخطابة الدينية من أبرز الوسائل في الدعوة إلى الله تعالى, بل لا غنى عنها, والحاجة ماسة إليها على الدوام, فصلاة الجمعة واجبة وجوبًا عينيًّا على كل مسلم في جماعة وتتكرر كل سبعة أيام, ولا تتم صلاتها إلا بخطبتين كذلك صلاة العيدين, وهي سنة مؤكدة عن النبي ρ ولا تتم إلا بخطبتين, وكذلك المناسبات الدينية على مدى العام, وخاصة يوم عرفة وغيرها من المناسبات المتعددة المتنوعة جميعها تحتاج إلى الخطابة الدينية ناهيك بحاجة المسلمين إليها في تبصيرة بأمور دينهم ودنياهم.

وهي اللسان الصادق الذي يهيمن على القلوب, ويستحوذ على النفوس, ويحرك المشاعر بهداية الحيارى وإنذار الغافلين وتبشير المحسنين : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الإسراء : ٩-١٠)

ومن ثم كانت الخطابة من أهم أدوات الدعوة, بل من أعظم الوسائل الدعوية التي لا غنى للإنسان عنها في حياته سلمًا وحربًا لما لها من تأثير قوي على النفوس.

ولذا كان لابد من تدريس مادة : (الخطابة الدينية) للدعاة إلى الله تعالى ولمن يعدون لهذا العمل من طلاب العلم وحراس هذا الدين.

فالنهوض بهاو اجب ديني؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى لا تتم إلا الخطابة الدينية, وهذه صفحات موجزة عن إعداد الخطيب – جمعتها من تراث شيوخنا راجيًا أن تكون زادًا على طريق الدعوة الإسلامية.

وقد أقمت هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم الإعداد.

المبحث الثاني: إعداد الخطيب علميًّا.

ويندرج تحته خمس مطالب:

المطلب الأول: الثقافة القرآنية.

المطلب الثاني: الثقافة النبوية.

المطلب الثالث: الثقافة التاريخية.

المطلب الرابع: الثقافة اللغوية والأدبية.

المبحث الثالث: إعداد الخطيب فنيًّا.

وجاء في مطلبين:

المطلب الأول: المهارات الصوتية للخطيب.

المطلب الثاني: المهارات الجسدية للخطيب.

وأخيرًا : أسأل الله تعالى وهو خير مسئول, وأفضل مأمول أن يوفقنا جميعًا للدعوة إلى الله تعالى على بصيرة, وعلى أكمل وجه وخير بيان للوصول إلى هذه الغاية النبيلة وتحقيق تلك الرسالة العظيمة: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:١٠٨) والله تعالى الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل.

دكتور / محمد رشاد عبدالله فرج

المبحث الأول
مفهوم الإعداد

أولًا: مفهوم كلمة (إعداد) في اللغة:

إن كلمة "إعداد" وردت في كثير من المعاجم اللغوية بمعاني متقاربة.

ففي القاموس المحيط: (أعده: هيأه, واستعد له: تهيأ, والغلام شب وغلظ)[1]

وفي معجم مقاييس اللغة:

(عد: العين والدال أصل صحيح واحد لا يخلو من العد الذي هو الإحصاء, ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشيء, وفي هذين المعنيين ترجع فروع الباب كلها)[2]

أما في المعجم الوسيط:

(عد الدراهم وغيرها – عدًا: حسبها وأحصاها, وأعد الشيء, هيأه وجهزه)[3]

ثانيًا: مفهوم كلمة (إعداد) في الاصطلاح الدعوي:

برجع مفهوم كلمة (إعداد) هنا في الاصطلاح إلى: تهيئة الدعاة تجهيزهم للعمل المنوط بهم في هذا الميدان.

ولقد وردت هذه اللفظة ببعض مشتقاتها في عدة مواضع في التنزيل الحكيم ببيان ما وعد الله به من عباده الصالحين بفوزهم بهذه الجنان في قوله تعالى: (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:٨٩)

وكذلك جاء التعبير القرآني ببيان الشدة والغلظة التي أعدها الله للكافرين من العذاب الأليم في قوله سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) (الأحزاب:٦٤)

(لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) (الأحزاب:٨) فجاءت لفظة (أعدَّ) في هذه الآيات مسندة إلى الحق سبحانه وتعالى.

وحينما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالمحافظة على قوتهم ومكانتهم وإرهاب أعدائهم عبّر بالفعل(أعدَّ) في قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)(الأنفال:٦٠)

مما سبق يتضح بجلاء أن كلمة (إعداد) تشتمل على المعاني الآتية:

١– الاستعداد والتجهيز وهذا أمر لابد منه للخطيب, فبدونه لا يستطيع الخطيب أن يصل إلى الهدف الذي يصبو إليه عند مواجهة الجمهور.

---

[1] - انظر القاموس المحيط – مجدد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي /٢٩٧ : ٢٩٨- مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

[2] - انظر معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي جـ٢ / ١١٨- دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

[3] - انظر المعجم الوسيط –جـ٢ / ٦٠٨- مجمع اللغة العربية- مطابع الدار الهندسية- القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٢- الإحصاء والحساب, وكلاهما تدور حول معنى الدقة والإحاطة والدراية بالشيء الواقع في فلكها, ومن ثم لا مجال للتخبط ولا للفوضى, وهذا هو المراد في إعداد الخطيب.

المبحث الثاني
إعداد الخطيب علميًّا

تمهيد:

من المعلوم أن العلم من صفات الله تعالى- قال تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف : ٧٦)
وقد رفع الله شأن العلماء: قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (المجادلة: ١١)
وقد من الله على رسوله محمد ρ بالعلم فقال: (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (النساء: ١١٣)
وكانت أول كلمات الوحي: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق:١)
والدعاة والخطباء لسائرون على الدرب, ومتبعون هذا المنهج, قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨)
إن الخطباء قد انفردوا بمعرفة الأوامر والنواهي بتعليمها سائر الناس منهمو فبقدر ما يقوم به هؤلاء من جهد باتباعهم الأوامر والنواهي يكون اتباع الأمة واجتنابها, فسعادة الأمة في قبضة هؤلاء الخطباء, فإذا صلحوا صلح الناس, ولإذا فسدوا فسد الناس, ومن ثم كانت وظيفتهم خطيرة ومسؤوليتهم عظيمة؛ لأنهم يوقعون بالإنابة عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله ρ ومن ثم أوجب إعادهم علميًّا.
فأول سلاح يتسلح به الخطيب للغوص في ميدان الخطابة العلم؛ لأن الخطابة, لم تكن قاصرة على موضوع خاص دون غيره, ومن ثم وجب على الخطيب أن يكون ملمًا بقشط وافر من المعلومات, وبكل ما له من صلة بالجماعة التي يخاطبها حتى يقف على مواطن التأثير فيهم فيقترب إليهم فيما يحبونه, ويبتعد عما ينفرون منه, فلا تتجافى قلوبهم عنه؛ لأنه هو الذي يقوم بنصحهم وإرشادهم, والفتوى فيما يحدث بينهم, وهذه مهمة صعبة وعمل شاق يتطلب من الخطيب بذل متواصل في التحصيل العملي, والعلم للخطيب أكثر ضرورة من احتياجه إلى الطعام والشراب؛ لأنه أشتاتًا من الناس يختلفون في طبائعهم وأخلاقهم وبنيانهم, والإسلام هو موضوع خطبته, لم يكن طقوسًا تنقل إليه بالوراثة, أو الإيحاء أو الإلهام, بل يستخرج من كتاب الله الذي يحتاج إلى الفهم الواعي والاجتهاد السليم والإخلاص الكامل.
وهذا الإعداد يتطلب من الخطباء أن تتوافر فيهم الصفات الآتية: كما جاء في كتاب " هداية المرشدين" يقول الشيخ على محفوظ عليه سحائب الرحمة والرضوان مبينًا المراجع الأساسية التي تؤهل الخطيب وتعده إعدادًا علميًّا بقوله:« مراجعة على قسمين أولية وثانوية»
فالأولية: هي العلوم الدينية التي أساسها التوحيد وينبوعها الصافي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ρ, فعلم العقائد مبناه آيات التوحيد, ولا تزال آيات التوحيد قائمة إلى يوم القيامة صالحة لتخاطب جميع العالم على اختلاف العقول والمشارب والملل والنحل, وهي بحقيقتها وقوتها داحضة لكل شبهة رغم إلحاد الملحدين

وزيغ المارقين, وما على الخطيب إذا تعرض للعقائد إلا أن يرجع إلى كتاب الله تعالى ويستخرج للمسترشدين دور العقائد من بحره الفياض, ويكسوها بالثوب اللائق بها قي مقام التخاطب ثم يورد الآية والآيات دليلا على قوله فلهذا تأثير في النفوس يشهد له العيان, أو يسلك من أول الأمر طريق القرآن الكريم في عرض الكائنات على الأنظار وتنبيهًا إلى وجه الدلالة فيها على وحدانية مبدعها وقدرنه وعلمه وحكمته وهذا أمثل الطرق وأفضلها.

وثانيها: علم التكاليف العملية التي سرها حفظ نظام العالم وإصلاح حال المعاش والمعاد وأيضًا الابتلاء والاختبار, فإذا كان من العبد الامتثال فالمثوبة, وإن كان الإباء فالعقوبة. مراجعة أيضًا آيات الأحكام والسنة الغراء.

وثالثها: علم الأخلاق الذي غايته إصلاح النفوس وإعداد الإنسان لأن يكون إنسانًا حقيقيًّا يصلح للخلافة عن الله عز وجل في أرضع وهو معظم آيات الكتاب الحكيم والسنة الشريفة.

ورابعها: قسم السمعيات .كذلك مراجعة الكتاب والسنة.

وبهذا يعلم الخطيب أن بحره الزاخر ومنهله الصافي الذي لا ينضب ماؤه , وأستاذه الذي لا ريب فيه هو الكتاب والسنة. وإن هذا المعنى ليجده كثيرًا في كتب الفحول من العلماء العاملين والدعاة المرشدين الذين قنعوا بالدنيا ورضوا منها بالقليل وعلقوا قلوبهم بالله تعالى, وكل هذا نتيجة التحقيق والمحاذاة للكتاب والسنة والآداب النبوية شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع.

فهذه هي المراجع الأساسية التي يستمد منها الخطيب ذاده العلمي ويتطلب إعداد الخطيب علميًّا إلى مزيد من العناية بعلوم الكتاب والسنة وحفظ القرآن الكريم مجودًا, وحفظ كثير من الحاديث الصحيحة أو الحسنة الوجيزة القريبة المعنى لتكون أقرب إلى التأثير عند سماعها, وناهيك بكتاب" رياض الصالحين" للإمام النووي رحمه الله تعالى, وكتاب :" الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري, وكتاب :" إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي بتخريج الحافظ العراقي فإنها نعم العدة والبضاعة الثمينة للخطيب.[1]

القسم الثاني في إعداد الخطيب علميًّا – المراجع الثانوية

العلوم الوضعية سواء كانت آلت العلوم الدينية ومنها التاريخ والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين وغيرهم من عظماء التابعين والأئمة المجتهدين أم لا كالعلوم الدنيوية التي يتوقف على كثبر منها نظام الحياة الاجتماعية من الرياضة والطبيعة بل الفنون والصنائع لقربها من فهم السامعين تفيد الخطيب تشبيهات ومقابلات وأمثالا يستعين بها في التعاليم الدينية, ويتوصل بها إلى المغازي الأدبية , يرشدك إلى هذا إمعان النظر غب قول الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال:٦٠)

[1] - انظر : هداية المرشدين ص ١٤٠ وما بعدها بتصرف – ط: دار الاعتصام بدون تاريخ.

فإن الجهاد يتوقف على علوم دقيقة وصنائع كثيرة إذا جهلتها الأمة أو قصرت فيها ضعفت شوكتها وزالت دولتها وكانت عرضة لإذلال الفاتحين واستبعاد المستعمرين, ولو رجعنا إلى تاريخ الأمم الغابرة وتأملنا أحوال الأمم الحاضرة لعلمنا كيف عزت الأمم التي شمرت في هذه الفريضة وسعدت, وكيف ذلت الأمم التي قصرت فيها وشقيت.

ومما تقدم يتضح أن مهمة الخطيب من أكبر المهمات ووظيفته من أعظم الوظائف.

وموقف الخطيب في الحياة موقف القواد من المجاهدين والعظماء العاملين, وكما لابد للقائد من إحكام العدة وبعد النظر وأصالة الرأي كذلك لابد للخطيب الديني أن يكون متضلعًا من العلوم الشرعية والأخلاق الدينية عاملا بعلوم الاجتماع والعلوم الكونية مما تعرضت له النصوص الشرعية كشئون السماوات والأرض والظواهر الجوية لئلا يعرض له من ذلك ما قد يعجز عن الجمع بينه وبين النصوص الشرعية أو يكون ظاهر الجهالة به وقد علمه صغار المتعلمين, فيتخذ عجزه أو جهله ذريعة إلى ضعف الثقة به وعدم الإذعان له, كما أنه لابد أن يكون محيط تمام الإحاطة بما يريد أن يبينه للناس ملمًا بجميع أطرافه متحضرًا لما جاء فيه من الآيات القرآنية وصحيح الأحاديث النبوية وآثار السلف الصالح والحكم النافعة ليستطيع أن يوفي الموضوع حقه فتعظم فائدته ويأمن من الخلط والذلل وبعد تمام الاستحضار يلقيه على السامعين مع التأني والسكينة وإجابة السائل عن كل ما يحتاج إليه وتفهيمه على قدر استعداده باللطف والبشاشة والحلم[1].

[1]- انظر : هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص ١٤٢ وما بعدها بتصرف – ط: دار الاعتصام بدون تاريخ.

المطلب الأول
الثقافة القرآنية

ويمكننا أن نقول في عجالة سريعة إن الخطباء يتركز إعدادهم من ناحية الثقافة القرآنية فيما يلي:

١- أن يجيد الخطيب تلاوة القرآن الكريم ويحفظ بعض سوره, ويتدبر بعض آياته ويفقه بعض أحكامه, ويحافظ على تلاوته, فإن ملازمة كتاب الله تغني حامله بلاغة وبيانًا وتمده بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج الفاصلة, وتزكيه وتسعفه في مخاطبة العقول والقلوب, وفي إثارة العواطف والفكر والانتباه وفي إرشاد الناس إلى الخير والهدى, فيصل إلى مراده من أقصر طريق وأقوم سبيلا فلا يضل ولا يشقى, وفي حفظه للقرآن الكريم تدبر له؛ لأن كثير من الآيات يفسر بعضها بعضًا, وبعضها الآخر تفسيره السنة وأقوال الصحابة واجتهادات العلماء, وحالات البشر الذين سيريهم الله آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.

إن المعرفة التامة بكتاب الله تعتبر الدعامة الأساسية للخطيب المثالي؛ لأن فيه يجد ما يحتاج إليه, ففي القرآن الكريم العقيدة الخالصة والشريعة الغراء والأخلاق الكريمة والوسائل الفضلى التي يخاطب الناس بها ومن القرآن يعرف دوره ومصيره, ويلتمس النور وشفاء الروح من الغفلة والتخلف والتشتت والضياع ويلتمس شفاء الأمة مما ارتكست فيه من الضلال والفساد, ومن القرآن يتحسس الموعظة ويتعلم أساليب الحكمة والتنوع في أساليب الدعوة, ويستمد المنهج وطريق الهداية والرشاد والفلاح, فهو بالقرآن يدعو الناس مبينًا لهم أنه يجب أن يعودوا وأن يتحاكم المسلمون إليه قال الله تعالى:

(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف: ١٨١) وبدراسة القصة القرآنية والقسم وغيرها يتعلم الخطيب نهج مخاطبة الناس وترغيبهم وتشويقهم.

٢- على الخطباء أن يحفظوا القرآن حفظًا جيدًا مع تدبر آياته وفقه أساليبه وأحكامه ووسائله والعمل به ليبلغوا أمر ربهم ولينذروا يوم التلاق.[١]

لأن النبي ρ كان يوجه أصحابه إلى تعلم القرآن الكريم وحفظه, ففي حديث أبي ذر الغفاري قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة" [٢]

ويؤكد الأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة أهمية حفظ الخطيب للقرآن الكريم ومعرفة ما فيه من أسرار بقوله:" كان مالك بن دينار يقول:« يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض». وإذا كان ابن دينار يوجه سؤاله إلى أهل القرآن جميعًا فإن السؤال يتجه إلى

---

[١] -انظر : خطبة الجمعة – أهمينها تأثيرها, واقعها , كيفية النهوض بها- ص ٣٢١ وما بعدها بتصرف: إعداد محمد عبد اللطيف الرفاعي- إشراف د/ محمد منير سعد الدين – الطبعة الأولى ١٩٩٥م – ١٤١٥هـ.

[٢] - انظر سنن ابن ماجة- باب فضل من تعلم القرآن وعلمه- المقدمة ج١ ص ٧٩, ص ٢١٩- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – طبعة دار الفكر بيروت.

الخطباء اتجاهًا أوليًّا, بحكم صلتهم به وانتسابهم إليه, وما يفرضه ذلك من ضرورة مدارسته, وفهم مراميه.... وصولا بالناس إلى ما رسمه القرآن من أهداف وما خطه من مناهج.

وإذا كان الغيث ينزل من السماء مدرارًا ثم يسري في أخاديد الأرض ليخرج بعد ذلك نبات وحب الحصيد. فإن القرآن الكريم له نفس الأثر في دنيا الروح, وملكات النفس الباطنة يغذيها... وينميها ويشيع في أرجائها سحرًا حلالا وما يشبه أن يكون زرعًا وزيتونًا ونخلا يطعم الجائعين, وأيضًا يسر الناظرين, ولن يصل الخطيب إلى هذا المستوى لمجرد أنه حفظ القرآن فإن القرآن الكريم لا يعطي سره لهؤلاء الذين يحفظون, ولا يستنبطون ... وإذا فهموا لا يجدون الإدارة الحاملة على التنفيذ وإنما يعطي ثماره لهؤلاء الذين صقلوا نفوسهم بالتجربة وربطوا بالفلك القرآني .... فانعكست آثار الصحبة المباركة على أنفسهم خلقًا عظيمًا ... يشع في كل اتجاه.

وعلى هذا الأساس فقد ربى رسول الله ρ أصحابه ... لتكون هذه التربية من بعد إعدادًا للخطباء في كل عصر ومصر.[1]

وبين أستاذنا الجليل الأستاذ الدكتور/ حسين مجد خطاب: مدى أهمية التثبت من النص القرآني بالنسبة للخطيب بقوله:« نعلم أن القرآن الكريم جاء بطريق التواتر فالتثبت هو التثبت من النقل وذلك بالعودة إلى المصحف الشريف حتى لو كنت تحفظ القرآن حفظًا جيدًا فالقرآن الكريم به متشابه, وكما يقول حفاظه :« القرآن غالب دائمًا» .

ويعنون بذلك أن الحافظ له مهما كانت درجة حفظه لا غنى له عن العودة إلى المصحف الشريف مسترشدًا بمؤلف من مؤلفات فهرسة آيات القرآن الكريم وألفاظه وموضوعاته, ولعل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لأستاذ محمود عبد الباقي يفي بالمطلوب.[2]

ولا يستطيع الخطيب أن يتثبت من النص القرآني إلا إذا كان حافظًا للقرآن الكريم؛ لأنه الدعامة الأساسية له فهو يعرف منه كل ما يحتاج إليه ففيه: دعوته بعقيدتها, وشريعتها, وأخلاقها, والوسائل التي يخاطب بها الناس وبدراسته للقصة والقسم يعلم الخطيب منهج مخاطبة الناس وترغيبهم وتشويقهم في الدعوة, ومع ذلك فإنه من خلال الوسائل القرآنية سيعرف كثيرًا من طبائع الناس وغرائزهم وعاداتهم, ويلحظ كيف راعت ناحية التأثير في الجميع وسوف يعرف مقاصدهم وأهدافها الرامية إلى إسعاد الناس في الدنيا والآخرة, وبذلك يجب على الخطيب أن يحفظ القرآن الكريم ويفهمه ليقدر على البلاغ والإرشاد...».[3]

خصائص القرآن الكريم:

---

[1] - انظر: الخطابة في موكب الدعوة للدكتور/ محمود محمد عمارة : ص ٥٧ وما بعدها بتصرف – طبعة دار الرسالة للطباعة .

[2] - انظر: منهج الدعوة إلى الله تعالى – أ.د/ حسين مجد خطاب – ص ٦٥ وما بعدها – الطبعة الرابعة – ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

[3] - الدعوة الإسلامية- أ.د/ أحمد غلوش ص ١٣٨ بتصرف.

وينبغي لقارئ القرآن أن يفهم القرآن ويتدبر ما فيه من معاني بعقله وقلبه ليدرك ما فيه من خصائص ومميزات .

١ – كلام الله:

١- القرآن الكريم كلام الله وقد تفرد الله بكل صفات الكمال والجلال ومن شأن كل كلام حتى كلام البشر – أنه يدل على أسرار صاحبه, وصفات ذاته, فإذا أراد أحدنا أن يدرس شخص ما اتخذ كلامه مادة من مواد الدراسة التي تعينه على مراده, فأولى بنا ثم أولى أن نلتمس أسرار الله في كلامه سبحانه و تعالى ومطالعة معاني صفات كماله وجلاله فيه.

٢- يجب أم نقرأ القرآن كأنما نسمعه من الله سبحانه و تعالى, وهذا أمر يكاد يكون من البديهيات التي نغفل عنها, فالقرآن كلام الله خاطبنا به, ووجهه إلينا, وأبسط مقتضيات هذا أن نصغي إلى هذا المتكلم العظيم ونحسن الاستماع إليه :(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف:٢٠٤) والإنصات إلى الله لا يكون بالأذن بل بالقلب وبوعيك كله, وهي منزلة تقتضي الإنسان مرانًا ورياضة وتدرجًا في مقاماتها الرفيعة.

قال بعض السلف:« كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله ρ يتلوه على أصحابه, ثم رفعت إلى مقام فوق فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ρ , ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت لذة ونعيمًا لا صبر لي عنها.

٣- استحضار تلك العبودية بصفة جدية حقيقية يورث الإنسان نهضة إلى أمر مولاه ومسارعة إلى إنفاذ ما كلفه الله به وألقاه عليه في القرآن وهذا يعنينا من ناحيتين:

الأولى: أن تنفيذ الأمر إن هو إلا تفسير عملي لعله يكشف خفاياه ويجلو غوامضه ويكسب صاحبه فقهًا في كتاب الله لا يناله النظريون الواقفون عند حدود التلاوة النظرية.

الثانية: إن تنفيذ الأمر إن هو إلا تنفيذ لتكاليف شاقة كم تقاصرت دونها الهمم فإذا راود المرء نفسه على التنفيذ وتحمل مشقة الرياضة والمجاهدة ونهض بهذه التكاليف بغير هوادة ولا رخاوة فقد أحدث نورًا في قلبه وعصبه وتنبهًا في وعيه, ويقظة في ملكات نفسه وهذا بما يزيد في تفهمنا لكتاب الله والوقوف على كثير من أسراره ومعانيه.

٤- بالتأمل والتدبر والوقوف على كل عبرة ومعنى يجب أن تكون القراءة في خلوة هادئة ولاسيما خلوات الليل حيث يشف القلب وتنكشف أغطية النفس.

٥- سل نفسك قبل قراءة القرآن الكريم هل هواك مع الله أو مع الدنيا؟ فكل هوى من الأهواء الدنيوية إنما هو حجاب كثيف بينك وبين الله وبين قلبك وبين القرآن, فحب المال حجاب, وحب البنين حجاب, واشتغال القلب بشواغل الدنيا حجاب أو حجب.

وإعجاب المرء بعلمه أو ذكائه وصلاحه أو قوته أو جاهه من الموانع الكثيفة الثقيلة.

وميل الطبع إلى شيء مما حرم الله وبغضه الخير لمنافسيه وحسده وحقده ورغبته في نزول الأذى والمصيبة بمن يكره هذا ونحوه أكنة يبتلى بها القلب فتحول دون وصول الروح القرآني إليه.

٦- يجب على الخطيب أن يستحضر عبوديته لله استحضرًا حقيقيًّا لا مجازيًّا، فإذا وفق الله هذا كله فهو بلا شك موصل جيد لروح القرآن إلى قلب الإنسان.[١]

٢- التيسير

والخصيصة الثانية للقرآن الكريم هي التيسير, فهو كتاب ميسر يسر الله تلاوته, ويسر فهمه, ويسر العمل به لمن أراد, لا يكلف الإنسان شططاً ولا يرهقه من أمره عسرًا. قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر الآيات: ١٧_ ٢٢- ٣٢)

: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (الدخان: ٥٨)

ويستطيع كل إنسان سليم الفطرة يقرأ القرآن أو يسمعه- أن يفهم منه ويتأثر به ويستقي من منهله بقدر ما يتسع واديه قال تعالى: (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) (الرعد:١٧)

ولهذا كان من أوصاف هذا الكتاب الإبانة والوضوح.... فهو كتاب (مبين) بل هو (نور مبين) قال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة: ١٥)

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) (النساء: ١٧٤)

والنور الواضح بين في نفسه مبين موضح لغيره, فكل بصير لابد أن يسري النور ولا يستطيع أن يرى شيئًا بغير النور.

وكل هذا يجب على الخطيب أن يعرض القرآن سهلا ميسرًا كما أنزله الله ولا يضعه في إطار من الألغاز والمعميات والتكلفات التي تخرجه عن طبيعته الميسرة.

كما ينبغي له ألا يكثر من القيل والقال في بيان معاني القرآن وألا يغرق ويغرق الناس معه في أقاويل يضرب بعضها بعضًا, أو يكرر بعضها بعضًا مع اختلاف الألفاظ دون أن يكزن وراءها ثمرة علميَّة أو يخرج منها برأي ناضج محدد.

٣- الإعجاز:

ومن خصائص القرآن الكريم: أنه كتاب معجز أمر الله رسوله أن يتحدى به المشركين من العرب أن يأتوا بحديث مثله أو بعشر سور مثله, أو بسورة مثله, فغلبوا وانقطعوا وسجل القرآن عليهم ذلك في جلاء ووضوح: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء :٨٨)

---

[١] - انظر – تذكرة الدعاة للبهي الخولي ص ٣٠٤- ٣٠٧ بتصرف- الطبعة الثامنة – ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م – الناشر : مكتبة دار التراث – الجمهورية- القاهرة.

وهذا يقتضي منا أن نبين معنى الإعجاز:

أولا: معنى الإعجاز

الإعجاز لغة: نسبة العجز إلى الغير, من عجز عنه أي: ضعف, والمعجزة هي إعجاز الخصم عن التحدي, والهاء للمبالغة, يقال: أعجز الرجل أخاه إذا أثبت عجزه عن شيء.[1]

و الإعجاز في القرآن هو: قصد إظهار صدق النبي في دعوى الرسالة بفعل خارق للعادة, و إعجاز القرآن ارتقاؤه في البلاغة إلى حد خارج عن طوق البشر؛ ولهذا عجزوا عن معارضته عند تحديهم, والإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق.[2]

وقد أعطى الله تعالى كل نبي معجزة أو أكثر للدلالة على دق نبوته, وكانت معجزات الأنبياء تتناسب مع أهل زمانهم, ففي عهد موسى عليه السلام شاع السحر, وانتشر في بقاع الأرض

فكانت معجزته في العصا واليد, وتحداهم وتغلب عليهم, وفي عصر عيسى عليه السلام ترقى الطب, فكانت معجزته إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص, والشفاء من الأمراض المستعصية بإذن الله ومشيئته فأقروا بنبوته وآمنوا به, وفي الجزيرة العربية سادت البلاغة والفصاحة والبيان والشعر العربي فكانت معجزة محمد ρ القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب وألفاظهم وحروفهم فعجز أئمتهم عن الإتيان بمثله, فصدقوا به وآمنوا برسالته, وعلموا أن هذا الكلام لا يقوله بشر بل هو من عند الله تعالى.

وامتازت معجزة محمد ρ على المعجزات الأخرى أنها معجزة حية باقية خالدة في كل عصر, ودائمة في كل زمان.[3]

قال: قال رسول الله – ρ –: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[4]

٤– الخلود:

ومن خصائص القرآن الكريم: أنه كتاب الخلود ليس كتاب جيل. ولا كتاب عصر, ولا كتاب أجيال أو إعصار محدودة, بل هو الكتاب الخاتم للرسالة الخاتمة؛ ولهذا تكفل الله بحفظه فقال:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(الحجر :٩)

:(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤١-٤٢)

---

[1] - القاموس المحيط ٢/ ١٨٢- المصباح المنيرج٢ ٦/ ٥٣٨.

[2] - إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول- الشوكاني- طبعة مصطفى الحلبي- الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م- ص٣٠- التعريفات – الجرجاني- دار الكب العلمية – بيروت- الطبعة الثالثة – ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ص ٢٦.

[3] - أصول الفقه- أبو زهرة ص ٧٧- طبعة دار الفكر العربي .

[4] - فتح الباري شرح صحيح البخاري – ط دار الريان ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – صحيح مسلم – طبعة دار الفكر العربي – بيروت- الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ومن دلائل ذلك أن أربعة عشر قرنًا من الزمن مرت على نزول هذا القرآن ولم يزل كما أنزل الله وكما بلغه محمد ρ , كما تلقاه أصحابه ومن بعدهم جيلا إثر جيل محفوظا في الصدور متلوا بالألسنة مكتوبًا في المصاحف يستظهره عشرات الألوف من أبناء المسلمين حتى الصبيان منهم بل حتى الأعاجم الذين لا يعرفون لغته.

وعلى الخطيب أن يقرأ القرآن بهذه الروح وهذه الفكرة: إنه كتاب الزمن كله فلا ينبغي أن يحمل على ثقافة عصر خاص أو أفكار جيل معين، فإن الثقافات تتطور والأفكار تتغير, والعور والأجيال تذهب ويبقى كتاب الله كما أنزله الله.[1]

٥- الشمول:

يشمل منهج القرآن الكريم منهجًا متكاملا لتنظيم الحياة عقائديًا مع الله وقانونيًا مع الناس, وسياسيًا مع الدولة واقتصاديًا مع العمل بما يستوعب أطراف الحياة كلها وحركتها.

ولنتحدث في هذه العجالة عن منهج القرآن الكريم في شموله وعنايته بالفرد وتنظيم أموره في روعة عجيبة لا تقتصر على حياته بعد مولده, بل تمتد إلى ثلاث شعب:

١- قبل مولده. ٢- بعد مولده. ٣- بعد موته.

فقبل مولده يهيئ له القرآن الكريم التربية الحسنة والبيئة الصالحة يحسن اختيار الزوج والزوجة

قال تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (النور:٣٢)

فإذا جاء المولود صاحبه المنهج القرآني في مراحل تربيته وتعليمه وحياته كلها قال تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) (الأحقاف: ١٥- ١٦)

وقوله تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النور: ٥٩)

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النور:٢٧)

وإذا مات الإنسان لم يقف القرآن منه صامتًا بل تدخل في مثواه الأخير بقوله تعالى: (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) (عبس:٢١)

---

[1] - ثقافة الداعية- القرضاوي- من ص٩- ١٤- بتصرف – مكتبة وهبة – الطبعة التاسعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م,

وفي توزيع تركته على ورثته الشرعيين قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ١١)

فالقرآن الكريم يصاحب الإنسان في جميع مراحل حياته جسدًا وروحًا.[1]

فهو كتاب الإنسانية كلها, وكتاب الحياة كلها؛ ولذلك جعله الله للناس والعالمين, قال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (التكوير:٢٧)

فالقرآن دستور شامل وصفة الحق سبحانه وتعالى بأن تبيان لكل شيء قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩)

كما أنه منهجًا متكاملا للأسرة في العقيدة والتربية والأخلاق والإشادات الدينية والتذكير باليوم الآخر والتشريع وغير ذلك مما لا غنى للإنسان عنه في عاجله وآجلة, قال تعالى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (سورة البقرة: ٢٣١- ٢٣٢)

يقول القرضاوي: (فهل تحسب هاتان الآيتان في التشريع أم في التربية أم في العقيدة أم في الآداب؟ الحقيقة أنها في ذلك كله في وقت واحد). [2]

ومن شمول القرآن:

أنه لا يخاطب العقل وحده, بل يخاطب الكيان الإنساني كله فيقنع العقل ويحرك القلب في وقت واحد كذلك فإذا قرأ الإنسان أو سمع مثل هذه الآيات: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) (الانفطار: من ٦- ٨)

يجدها تخاطب الإنسان كله عقله ووجدانه فلا يكتفي بخطاب القلب والضمير وحده كما هو المعهود في كتب الدين واللاهوت قبل القرآن, ولا يخاطب الفكر والعقل وحده كما هو شأن كتب الفلسفة قديمًا وحديثًا, إنما هو يخاطب الذات الإنسانية بكل مقوماتها وخصائصها... كما أنه لا يخاطب صنفًا واحدًا

---

[1] - انظر النظم الإسلامية ص ٢١- ٢٣- بتصرف- د/ يسري محمد هاني , ود/ محمد المصطفى عبد المقصود - الطبعة بدون تاريخ.

[2] - ثقافة الداعية- القرضاوي- ص١٥ – مكتبة وهبة – الطبعة التاسعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م,

من البشر له اتجاه عقلي أو نفسي معين مغفلا من عداه من الأوصاف ذوي الاتجاهات المتعددة كلا إنه يخاطب كل الأصناف ويشبع كل الاتجاهات السوية.

ولكي يكون عنده بصيرة نافذة ومواهب ربانية لابد من وقوفه على معرفة العلوم الأخرى التي تمكنه من الغوص في هذا الميدان أذكر منها ما يلي: علم اللغة, و علم النحو والصرف, وعلم البيان, و علم القراءات, و علم أصول الدين, و علم أصول الفقه, وأسباب النزول, والناسخ والمنسوخ, وغير ذلك من العلوم التي لا غنى عنها للخطيب في ميدان عمله.

المطلب الثاني
الثقافة النبوية

وأعني بها (السنة النبوية الشريفة)

أولا: التعريف بالسنة في اللغة:

السنة في اللغة: هي الطريقة سواء كانت محمودة أو سيئة, أو بمعنى السيرة حسنة كانت أو قبيحة؛ ولهذا المعنى حديث جرير بن عبد الله البجلي : "من سن سنة حسنة، فعمل بها، كان له أجرها، ومثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن سنة سيئة، فعمل بها، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[1]

ومعنى الحديث: أي من أتى فعلة حسنة فله أجرها وأجر من تأسى به غيره وعمل مثل عمله؛ لأنه الفاتح لباب الخير والدال عليه بعمله, وكذلك الحال بالنسبة للسيئة؛ لأن من أتى فعلة سيئة وتأسى به غيره فعليه وزرها ووزر كل من تأسى به بعده؛ لأنه فاتح لباب الشر بفعله ومبادرته"[2]

ثانيًا: التعريف بالسنة في الاصطلاح:

وأما تعريفها في الاصطلاح فهي: ما صدر عن النبي ρ من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير"[3]

أهمية السنة للخطيب:

لما أراد الله أن يختم رسالته إلى أهل الأرض اختار من بين عباده نبيه المصطفى ورسوله المرتضى محمد بن عبد الله العربي الهاشمي ليرسله إلى الناس كافة, وقد خلفه الله لهذا الغرض ورباه تربية خاصة وأولاه عنايته وأدبه فأحسن تأديبه.

وبعد تمهيدات وإرهاصات مرت عليه في طفولته وصباه بعثه الله إلى الناس كافة, وأنزل عليه كتابه الأخير الذي ليس بعده كتاب (القرآن الكريم) فالخطيب يتأسى بالنبي ρ

ويقول الأستاذ الدكتور/ حسن عبد الرؤوف محمد البدوي عن إعداد الخطيب في ضوء السنة النبوية الشريفة:

إن الناظر في كتب السنة يجد أن رسول الله ρ قد وضع الأسس العظيمة لتبليغ الدعوة وبين المنهج الذي يجب أن يسير عليه كل داعية وكل واعظ في تبليغ الدعوة, فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم الدعاة الذين يرسلهم إلى البلاد أن يدعوا الناس بالحكمة والموعظة الحسنة, والمجادلة بالتي هي أحسن حسب ما أمره ربه, وكذلك علم الدعاة أن يدعوا غلى الله على بصيرة , وذلك بمعرفة دينه معرفة كاملة, وكذلك معرفة منهج تبليغه حتى إذا تكلم أو أفتى بشيء يتكلم عن علم وبينة, كذلك علم إمام الدعاة صلوات الله

---

[1]- أخرجه مسلم في الصحيح ٧/ ١٠٣- ١٠٤ـــ طبعة دار الفكر العربي – بيروت- الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

[2] - إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول- الشوكاني- ١/ ١٣٢- طبعة مصطفى الحلبي- الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م-

[3] -أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام ص ٥-٩ بتصرف : د/ محمد أ/ان بن علي الجامي – راجع الكتاب وخرج نصوصه عبد الرحمن بن عبد الجبار الغريواني – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م- الناشر دار الجيل بيروت.

عليه أن يتخولوا الناس بالموعظة خشية السآمة, وهذا أمر هام فقد قيل من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك.

وكذلك علم الدعاة أن يبشروا ولا ينفروا, وييسروا ولا يعسروا, فالدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلب, و كذلك علمهم ρ أن يتحولوا بالأخلاق الحسنة حتى يكونوا قدوة للناس, فالدعوة بالحال أنفع من الدعوة بالمقال, وهناك غير هذا مما وصى به صلوات الله وتسليماته عليه الدعاة حتى ينهجوا في دعوتهم.

وبهذا فإننا نستطيع أن نجمل ما وضعه النبي ρ من أسس لتبليغ الدعوة فيما يلي:

١- العلم بالدعوة.

٢- العلم بمنهج التبليغ من كلمة وموعظة حسنة ومجادلة بالتي هي أحسن وغير ذلك.

٣- العلم بأحوال المدعوين حتى ينتفعوا بكلامه وينشطوا لسماعه.

٤- التخلق بالأخلاق الحسنة حتى يصبح الداعية قدوة حسنة لمدعويه, وما ذكرناه يتضح في توجيهاته وتوصياته صلوات الله وتسليماته عليه لمن كان يرسلهم إلى البلاد لدعوة الناس إلى الإسلام, وفي هذا أكبر دليل على أنه ρ كان يعد الدعاة إعدادا كاملا لتحمل مهمة تبليغ الدعوة.

ونختار من ذلك ما يلي:

١- توجيهاته وتوصياته ρ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن.

في هذه التوجيهات والتوصيات نجد أن رسول الله ρ قد أعطى معاذا المنهج العظيم الذي يجب أن يتبعه في تبليغ الدعوة, وعلمه المنهج التشريعي الذي يجب إتباعه في نشر الدعوة.

فقد روي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن، قال: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ " قال: أقضي بكتاب الله، قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟ " قال: فبسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: "فإن لم تجد في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأي ولا آلو، فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله"[١]

وفي هذه الوصية نرى أن الرسولρ قد علم معاذا المنهج التشريعي في تبليغ الدعوة والذي اعتبر أساس الجهود التشريعية في مجال الفقه والأصول.

ومن وصيته ρ لمعاذ كذلك حين بعثه إلى اليمن ما رواه الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس قال:" لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل

---

[١] - أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأقضية- - باب اجتهاد الرأي في القضاء- ت الأرنؤوط ٥/ ٤٤٤- حديث رقم (٤٤٤) – وأخرجه الترمذي – كتاب الأحكام – باب ما جاء في القاضي كيف يقضي- جـ٣ ص ٦٠٦ رقم (١٣٢٧-١٣٢٨- ط دار الحديث بالقاهرة

الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وإياك وكرائم أموال الناس واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[١]

فتأمل هذه الوصية التي توضح مدى سماحة الإسلام ورحمته ورفقه, وتأمل قوله ρ وإياك وكرائم أموالهم ممثلة فيه احترام الإسلام لما يعتز الإنسان بملكيته, فأي سماحة أكثر من ذلك, ويتضح ذلك في وصيته ρ لأبي موسى ومعاذ بن جبل حين بعثهما إلى اليمن.

٢- وصيته ρ لأبي موسى ومعاذ بن جبل.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي بردة قال: بعث رسول الله ρ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال وبعث كل واحد منهما على مخلاف[٢] قال واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا .... إلخ"[٣]

وفي هذه الوصية نرى أن الرسول ρ يعلم الدعاة أن طبيعة الدعوة الإسلامية أنها ميسرة وسهلة وعلى الدعاة أن ييسروا على الناس وألا يشقوا عليهم فقد قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (سورة البقرة:١٨٥) فعلى الدعاة أن يكونوا ميسرين في حدود ما أمر الله به وما نهى عنه.

فقد روى الإمام البخاري بسنده عن عائشة، أنها قالت: ما خير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها"[٤]

كيفية تعامل الخطيب مع السنة النبوية الشريفة في دعوته:

---

[١] -أخرجه البخاري- كتاب الزكاة- باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة - ٢٢/ ٣٦٣- ط دار الريان – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

[٢] - المخلاق بلغة أهل اليمن الأقليم.

[٣] - رواه البخاري في مواضع متفرقة انظر الفتخ (٣٠٣٨) – ورواه مسلم رقم (١٧٣٣) طبعة دار الفكر العربي . بيروت- الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

[٤] - رواه البحاري (٦/ ٣٥٦٠) طبعة دار الريان –ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م – ومسلم (٢٣٢٧) طبعة دار الفكر العربي . بيروت- الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.- نظر : فقه الدعوة إل ى الله الأستاذ الدكتور/ حسن عبد الرؤوف محمد البدوي – ص٣٠٦- وما بعدها -- الطبعة الأولىلا ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

يحدثنا الأستاذ الدكتور/ محمود عمارة عن كيفية تعامل الخطيب مع السنة النبوية الشريفة بقوله:" إذا احتاج الخطيب إلى الارتباط بمواطن الأسوة في حياته ρ فهو محتاج أيضًا إلى فتح أبصار الناس وبصائرهم عليها... تتميمًا للفائدة.

لقد كان من رحمة الله تعالى أن أرسل إلينا بشرًا رسولا فأتاح لنا هذه البشرية المحكومة بالرسالة فرصة التأسي بأعلى صور الكمال الإنساني. ولن يتم ذلك التأسي... ولن تتحقق القدوة إلا بوقفات واعية متأملة لدقائق حياته ρ وتجليتها للناس بما يكشف غن موطن العظمة فيها, أما مجرد السرد ... واستعراض ملكة الحفظ والاستيعاب فلن يحقق الغاية المنشودة.

لقد كنت أستمع إلى بعض الأخوة من فوق المنبر فأحس برجال لا ينقصهم الإخلاص للدعوة .. كما لا تفوتهم الإحاطة بكل إشارة واردة تتصل بموضوع الخطبة إلا أنني في نفس الوقت أتحسس ملامح الناس فلا أرى أثرًا يذكر على قسمات وجوههم وفي نظرات عيونهم ... وأروح أبحث مع الباحثين عن سر هذه الظاهرة, ويهديني البحث إلى أن الخطيب يسرد الأحداث سردًا ولا يغوص بالناس نحو الأعماق الحافلة بكنوز المعاني والصور, واعتقد أن الخطيب الذي يختار من بين الأخاديث الكثيرة نصًا واحدًا ... ثم يعطيه حقه من الدراسة والتأمل هذا الخطيب يظل حاضر في وعي الناس وتظل فكرتع الواحدة المركزة ... باقية مع الأيام وأنه ليستمع بعدها إلى ألف خطيب ... و ألف خطبة لكن هذا السيل لا يخطب الفكرة الصائبة التي رسبت في ضمير المستمع وأصبحت في حياته ذكرى عزيزة لا تنسى"[١]

أهم الكتب المؤلفة في السنة النبوية الشريفة:

الكتب المؤلفة في السنة النبوية الشريفة كثيرة وعديدة لا يمكن حصرها, ولكن أذكر أهمها فيما يلي:

الكتب الستة, ومسند الدرامي, وموطأ مالك, ومسند الإمام أحمد.

ولبعض هذه الكتب مختصرات يمكن أن تكفي لمن لم تسعفه الهمة والوقت بقراءة الأصول ذاتها مثل:

(التجريد الصريح) للزبيدي وهو مختصر للبخاري حذف منه المكررات والمعلقات والأسانيد.

وكذلك (مختصر صحيح مسلم) للمنذري الألباني, وهناك كتب عملت على جمع هذه الكتب أو بعضها مثل (جامع الأصول) لابن الأثير جمع فيه أحاديث الأصول الخمسة: الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي, وجعل سادسها موطأ مالك بدلا من سنن ابن ماجة؛ لأن فيه كثير من الضعيف, بل فيه أحاديث موضوعة؛ ولهذا رد بعض الحفاظ لو كان مسند الدرامي مكانه وذلك بعد حذف المكرر منها. وقد قام أحد علماء الحديث في القرن الحادي عشر وهو العلامة : محمد بن محمد بن سليمان المتوفى بدمشق سنة ١٠٩٤هـ بجهد مشكور في الجمع بين كتابي ابن الأثير والهيثمي, وأضاف إليهما زوائد الدرامي وابن ماجة, فكان هذا الكتاب يحق موسوعة حديثيه جمعت أكثر من عشرة آلاف حديث نبوي

---

[١] - الخطابة في موكب الدعوة – أ.د/ محمد محمود عمارة ص ٦٦ وما بعدها – الناشر دار الرسالة للطباعة بدون.

من أربعة عشر كتابًا وسمي كتابه: (جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد) وبجوار هذا اللون من تجميع الأحاديث وفقًا لترتيب الحروف الهجائية.

ومن ذلك ما صنفه الحافظ السيوطي في كتابيه : (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير) وقد أضاف إليه زيادات ضمها النبهاني في كتاب سماه : (الفتح الكبير بزيادة الجامع الصغير) والكتاب الآخ الجامع الكبير) الذي حاول أن يجمع فيه كل إليه من كتب الحديث وقد رتبه الشيخ علاء الدين علي المتقي من علماء الهند على الأبواب والموضوعات في كتابه الذي سماه : (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) وثمت كتب أخرى متخصصة هدفها تجميع نوع معين من الأحاديث كأحاديث الأدعية والأذكار وما يتعلق بها مثل كتاب: (الأذكار) للإمام النووي, وكتاب (الكلم الطيب) لشيخ الإسلام ابن تيمية, وأحاديث الآداب والفضائل وما يتعلق بها مثل كتاب: (الأدب المفرد) للبخاري, وكتاب (شعب الإيمان) للبيهقي, وكتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي , و الأحاديث التس تتضمن الترغيب والتحبيب في الخير والطاعة والترهيب والتخويف من الشر والمعصية مثل : (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذري أو الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية مثل: (عمدة الأحكام) للحافظ المقدسي ويشمل أحاديث الصحيحين فقط و (الإلمام) للإمام ابن دقيق الغبد, و(منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار) للمجدد ابن تيمية و (بلوغ المراد من أدلة الأحكام) للحافظ ابن حجر.[1]

[1] -انظر - ثقافة الداعية- القرضاوي- ص٤٨ –وما بعدها- مكتبة وهبة – الطبعة التاسعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م,

العلم بالسيرة النبوية
أهمية دراسة السيرة النبوية للخطيب

إن الغرض من دراسة السيرة النبوية الشريفة تصوير الواقع الحقيقي للإسلام متجسدًا في شخصية النبي ρ و يمكننا أن نقسم هذا الغرض إلى عدة أهداف أذكر منها ما يلي:

١- معرفة شخصية النبي ρ من خلال حياته وبيئته التي نشأ فيها فلم يكن عبقري فحسب سمت به عبقريته بين قومه بل أيده الله سبحانه وتعالى قبل ذلك بوحي من عنده.

٢- إبراز صورة النبي ρ أمام كل إنسان ممثلا المثل الأعلى في مكارم الأخلاق وجلائل الأعمال :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١)

٣- من خلال دراسة سيرة النبي ρ يجد الإنسان ما يعينه على فهم كتاب الله :(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:٤٤)

:(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان: ٣٣)

٤- من خلال دراسة سيرة النبي ρ يستطيع الإنسان أن يقف على كثير من المعارف الإسلامية سواء كانت هذه المعارف تتعلق بالجانب العقدي أو التشريعي أو الأخلاقي.

٥- أن يكون لدى الخطيب نماذج حية عن هدي النبي ρ وتربيته لأصحابه, فلقد كانت حياته ρ النموذج الرائع للخطيب في دعوته إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وخلاصة القول في هذا أن دراسة السيرة النبوية ما هي إلا إبراز لهذه الجوانب المتعددة في شخص النبي ρ [١].

والهدف من دراسة الخطيب للسيرة النبوية أن يقف على الحقيقة الإسلامية كاملة في مثلها الأعلى محمد ρ من خلال هذه الجوانب الآتية:

١- أن يفهم الخطيب شخصية النبي ρ النبوية من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها, فيجد بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شئون الحياة الفاضلة, ولذلك جعله الحف سبحانه وتعالى قدوة لكل خطيب, وللناس قاطبة فقال عنه سبحانه :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١)

بدراسة الخطيب للسيرة النبوية الشريفة يجد فيها ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى, وتذوق روحه ومقاصده, فكل ما أجمل وأبهم في القرآن الكريم وضحته السنة النبوية الشريفة بصورة واضحة لا غموض فيها, قال تعالى :(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان: ٣٣)

:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:٤٤)

---

[١] - انظر فقه السيرة للدكتور/ محمد سعيد البوطي / ٥- دار السلام – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

كما أنها تساعده على تحصيل أكبر قدر ممكن من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة سواء كان منها ما يتعلق بالعقيدة أو الأحكام والأخلاق, فحياته ρ صورة مجسدة تجمع في طياتها مبادئ الإسلام وأخلاقه وتشريعاته بل تشتمل حياته ρ على نماذج من التربية والتعليم والتوجيه من خلال مراحل دعوته, فما دراسة السنة النبوية الشريفة إلا إبراز لهذه الجوانب كلها مجسدة في أدق نموذج وأوضح صورة وأجمل بيان.

المطلب الثالث
الثقافة التاريخية

للتاريخ أهمية عظيمة في ميدان خطابته, ولكي يجدر بنا معرفة هذه الأهمية لابد من الوقوف على معرفة التاريخ لغة واصطلاحًا وهناك بيان ذلك فيما يلي:

أولا: التعريف بالتاريخ في اللغة

قال الجوهري إسماعيل بن حماد:" التاريخ تعريف الوقت والتواريخ مثله يقال: أرخت وورخت"[١]

وقال ابن منظور:" التاريخ تعريف الوقت والتواريخ مثله – أرخ الكتاب ليوم كذا: قته والواو فيه لغة وزعم يعقوب أن الواو بدل الهمزة"[٢]

وقد اختلف في أصل كلمة:" تاريخ" هل هي عربية أم معربة؟

قال ابن منظور:" التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب وتاريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ρ كتب في خلافة عمر – رضي الله عنه- فصار تاريخا إلى اليوم."[٣]

ثانيًا: التعريف بالتاريخ في الاصطلاح:

لأبعاد جوانب علم التاريخ وسعة مجالاته واتساع جنبات معارفه تجعل من وضع تعريف جامع مانع من الصعوبة بمكان, فعلم التاريخ علم اختلف فيه عبارات العلماء وذلك يرجع إلى كثير الموضوعات التي تدخل في فهم علم التاريخ.[٤]

فلقد قال الإمام ابن جرير الطبري: (وليصلوا بذلك – أي بعلم التاريخ – إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في الساعات والشهور والسنين من الصلوات والزكوات والصوم, وغير ذلك من فروضهم وحين حل ديونهم وحقوقهم)[٥]

وقال ابن خلدون :"إن التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال وتطرق بها الأندية إذا عمها الاحتفال وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال, وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو

---

[١] - الصحاح للجوهري- ٤١٨/١- دار الحضارة العربية- بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٥م.
[٢] - لسان العرب ٣/ ٤ – دار صادر- بيروت – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
[٣] - المصدر السابق ٤/٣.
[٤] - التاريخ وأهميته في رواية الحديث ومغرفة الرجال: ص ١٨- د/ ملفي بن حسن الشهري- الناشر دار المحدثين للتحقيقات العلمية والنشر.
[٥] - تاريخ الطبري ٥/١.

لذلك أصيل في الحكمة وعريق وجدير بأن يعد في علومها وخليف"[1] ومن ثم نقول إن التاريخ يزود الخطيب بمعان حسان فضلا على أنه يوقفه على أخبار السابقين, ويعرفه بواقع أحوالهم في القرون الغابرة"

فائدة دراسة التاريخ بالنسبة للخطيب:

لكل علم فائدة وثمرة وما لا فائدة له ولاثمرة فإنه لا يعد علمًا, والتاريخ له فوائد لا تحصى أذكر أهمها على سبيل الاختصار فيما يلي:

١- معرفة أحوال الأمم السابقة ومصارع الأقوام وأحوال الطغاة ومعايشة ذلك من خلال معرفة تاريخهم.

٢- توسعة مدارك القارئ له وتضلعه بتجارب السابقين مما يثري حياته العملية برجاحة العقل وحسن موازنة الأمور لاستفادته من تجارب السابقين فإنه ما من حدث إلا وقد سبق له التاريخ نظير.

٣- أنه مما يتحمل به في المنتديات فإن الخطيب والواعظ والمتحدث يجمل كلامه بأخبار الأمم السابقة لنقل العبرة والعظة للمخاطبين.

٤- عظم نفعه في معرفة أحوال المنقول من حديث المصطفى وأحوال ناقليه"[2]

فيجب على الخطيب أن يكون ملمًا بالثقافة التاريخية, وأعني بذلك معرفته بتاريخ الإسلام وخاصة تاريخ الأمة الإسلامية ومعرفته بالمواقف الحاسبة منه والملامح الرئيسية فيه, فهذا من الأمور الهامة بمكانة ما في إعداد الخطيب للأسباب الآتية:

أ- إن موضوع التاريخ له علاقة وثيقة بموضوع الدعوة أو قل: إن موضوعهما واحد هو الإنسان .. الإنسان في الماضي أو الحاضر, الإنسان فردًا أو مجتمعًا, الإنسان مفكرًا أو مقلدًا لغيره, الإنسان منتجًا أو مستهلكًا, الإنسان ريفيًا أو متحضًا, الإنسان حيث كان وكيف يكون.

ب- إن الإلمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس وبخاصة الذين تثقفوا بهذه العلوم والخطيب مأمور أن يخاطب الناس على قدر عقولهم, وأن يبين لهم ليفهموا عنه, وإذا كان الخطيب غير الداعية فإن خطيب المسجد داعية من الطراز الأول من الدعاة وإمامهم.

جـ- إن لهذه العلوم في كثير من الأحيان رشحات ضارة على الثقافة المعاصرة وسموا ما تنفسها في شتى المجالات ولا يكاد يسلم منها كتاب أو مجلة أو صحيفة أو إذاعة ومن لم يعرف مصادر هذه الرشحات والسموم لا يستطيع أن يقاومها بأسلوب عالى رصين"[3]

أهمية التاريخ للخطيب

[1] - انظر: مقدمة ابن خلدون- ص: ٣- ٤ ط- دار الشعب – تحقيق : على عبد الواحد وافي بدون تاريخ.

[2] - انظر التاريخ وأهميته في رواية الحديث ومعرفة الرجال: ص ٢٢- ٢٣٠ ٢٤- بتصرف.

[3] - انظر – خطبة الجمعة أهميتها تأثيرها – واقعها , كيفية النهوض بها – إعداد محمد عبداللطيف الرفاعي: ص ٣٣.

للتاريخ أهمية عظيمة في إعداد الخطيب للعمل في ميدان الخطابة, يقول القرضاوي:"

١- أنه يوسع أفاقه ويطلعه على أحوال الأمم وتاريخ الرجال وتقلبات الأيام بها وبهم, فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور, كيف ترقى الأمم وتهبط؟ كيف تقوم الأمم وتسقط؟ وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم؟ وكيف تحيا الحضارات وتموت؟ وكيف ينجح القادة ويفشلون؟ وكيف تنام الشعوب وتصحو؟ يقول القرآن:(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦)

٢- إن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم فهو مرآه مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ونهاية الكفر والفجور وجزاء الشاكرين لنعمة الله وعقوبة الكافرين بها, وكيف يجني من يغرس الخير ويحصد من يزرع الشر؛ ولهذا عني القرآن الكريم بذكر قصص السابقين وتواريخ الغابرين لما فيها من عبر بليغة وعظات حية كما قال تعالى :(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق:٣٦- ٣٧)

وقال:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (يوسف :١١١)

وكثيرًا ما يعقب على نهاية الأمم بتعليقات تبرز ما وراءها من دروس مثل قوله بعد قصة ثمود :(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (النمل: ٥٢-٥٣)

و قوله بعد قصة سبأ :(ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) (سبأ :١٧)

٣- بدراسة الخطيب للتاريخ يعينه على فهم الواقع الذي يعيش فيه لاسيما إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع فيزداد بذلك شجاعة وصلابة وقوة في نصرته للحق وإخذاله للباطل, و القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى في حديثه عن المشركين وطلبهم الآيات الكونية من رسول الله ρ على وجه التحدي كقوله :(لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا) (سورة البقرة: ١١٨) :(كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) (سورة البقرة: ١١٨) وقال سبحانه وتعالى عنهم في سورة الذاريات:(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) (الذاريات: ٥٢-٥٣)

فهذا يدل على مدى اتحادهم في الاستكبار والطغيان, وما صدر عنهم من الزور والبهتان, فهذا ما يسعف الخطيب في حل قضايا مجتمعه الحاضرة بمعرفة جذورها التاريخية البعيدة الأغوار.

٤- في التاريخ بعض الجوانب التي لها صلة وثيقة بالخطيب في ميدان خطابته وأعني بذلك

الجانب العقلي أو الفكري في التاريخ مثل: تاريخ الأديان, نشأتها وتطورها, وأهم الشخصيات والوقائع المؤثرة في سيرها وما آلت إليه في النهاية ومثل تاريخ النحل والفرق, و تاريخ الفلسفات والمدارس الفكرية, وتاريخ الحضارات الكبرى وغير ذلك من الثقافات المتعددة في هذا الجانب .[1]

تحذيرات للخطيب في الميدان التاريخي

يجب على الخطيب الذي يطالع التاريخ أن ينتبه إلى الأمور الآتية:

١- ألا يجعل الخطيب كل كوادره وإدراكه معرفة التاريخ وتفصيلاته فهذا يحتاج إلى جهد كبير, وإنما يكفيه أن يأخذ منه الأحداث التاريخية التي يستشهد بها ومواقع العبر منها.

٢- أن يكون ذا وعي يقظ للوقائع التاريخية التي تخدم موضوعه.

٣- على الخطيب الذي يطالع التاريخ أن يقف على مواقف الأبطال وبخاصة العلماء والدعاة والصالحون.

٤- على الخطيب أن يربط الأحداث و الوقائع التاريخية بموضوع خطبته.

٥- أن يكون هدف الخطيب من دراسة التاريخ هو معرفة الإسلام نفسه بأنه دعوة ورسالة وأثره في تربية الأجيال, وتكوين الأمة المسلمة وإقامة الدولة الإسلامية, وبناء الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية وتأثيره في العالم كله.

العبرة من دراسة التاريخ
الحقائق التاريخية التى يجب على الخطيب مراعاتها

[1] - انظر - ثقافة الداعية- القرضاوي- ص٩٩–وما بعدها- بتصرف- مكتبة وهبة – الطبعة التاسعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م,

١- على الخطيب أن يهتم بحركات الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام وخاصة رجال التجديد الذين يسايرون ركب الحياة بين الحين والآخر في هذه الأمة ليجدد لها دينها.

فقد يكون منهم الخلفاء كعمر بن عبد العزيز, أو الأمراء كنور الدين وصلاح الدين, أو الفقهاء والدعاة كالإمام الشافعي والغزالي وابن تيمية, وقد يكون المجدد جماعة أو مدرسة إصلاحية.

٢-يجب على الخطيب أن يبين الصورة الجاهلية العالمية والعربية, وما كان عليه المجتمع من فساد العقائد والأخلاق قبل مجيء الإسلام وصدق الله حين يقول:(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الجمعة: ٢)

٣- على الخطيب أن يستفيد ويفيد من دور الحركات والمقاومات الإسلامية التي ظهرت في العالم الإسلامي في مواجهة الحملات الصليبية وسقوط الشهداء من المسلمين لصد هذه الحملات بانتصار المسلمين عليهم موقفًا بأن بوادر النصرانية لا محال[١]::(أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (سورة البقرة:٢١٤)

رد الروايات التاريخية الضعيفة

والذي أود أن أنبه الخطيب إليه في المجال التاريخي ما يلي:

١- ليس كل ما تحتويه كتب التاريخ صحيحًا, فكم حوت كتب التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفات تكذبها الحقائق الثابتة, أو بالموازنة بالأدلة الناصعة في مصادر أخرى.

أهم المصادر التاريخية

١- تاريخ الطبري:

[١]- انظر - ثقافة الداعية- القرضاوي- ص١٠٣ –وما بعدها- مكتبة وهبة – الطبعة التاسعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م,

ومما يؤخذ عليه أن الفكرة المهيمنة على الطبري عند كتابة تاريخه هي التجميع والتسجيل دون الانتفاء أوالتمحيص للأسانيد أوالوقائع المروية فمن كان عنده خبر ذو بال نقله عنه ودونه منسوبًا إليه, وإن كان راوي الخبر من الضعفاء أو المهتمين أوالمتروكين, والذي دعاه إلى ذلك حب الاستقصاء, والخوف من أن يفوته بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواهي.[1]

ومن ثم قال الإمام الطبري قي مقدمة تاريخه:" فما كان في كتابي هذا مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا"[2]

---

[1] - انظر تاريخ الطبري ١/ ١٣- الناشر دار الكتاب العلمية – بيروت.

[2] - انظر - ثقافة الداعية- القرضاوي- ص١٠٥ –وما بعدها- مكتبة وهبة – الطبعة التاسعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م,

المطلب الرابع
الثقافة اللغوية والأدبية

أولا: مهارات الخطيب اللغوية تكمن فيما يلي:

معرفة الخطيب بعلم النحو: (التعريف بعلم النحو)

علم النحو: قواعد لضبط الكلمات العربية ومعرفة أحوالها إعرابًا وبناءً.

موضوعه: الكلمات العربية من جهة الإعراب والبناء.

فائدته:

١- يقوّم اللسان ويحفظه من اللحن.

٢- يحقظ قارئ القرآن الكريم والسنة النبوية من اللحن والتحريف.

٢- يعين على فهم القرآن الكريم والسنة النبوية والأساليب العربية فهمًا صحيحًا نقف منه على إعجاز القرآن الكريم.

سبب وضعه: ظهور اللحن في لسان العرب بسبب اختلاطهم بالأعاجم بعد اتساع الفتوح الإسلامية, فخاف الولاة أن يتسرب إليهم اللحن إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

نشأته:

روي أن أول من كتب فيه هو : أبو الأسود الدؤلي بأمر من سيدنا علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه_ وقد وضع القواعد وعرضها على سيدنا علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه_ فأقرها, ,قال:" ما أحسن هذا النحو الذي نخوت" فسمي لذلك نحوًا.[١]

أهمية علم النحو بالنسبة للخطيب

١- التصرف في فنون القول بأن تتعاقب على المعنى أو المعاني ضروب مختلفة من التعابير من تقرير إلى تعجب إلى تهكم إلى نقي.... فيكتسب الكلام حدة ولا يذهب بنشاط السامعين ولا يعتريهم السأم والملل.

٢- حسن التآلف بين الكلمات وتآخي المفردات بحيث تنحدر الكلمات على اللسان في يسر وسهولة, ويحسن وقعها في الأسماع, فلا تكون واحدة منها نابية عن أخواتها أو ساكنة فيغير مستقرها, فتكون قلقة في النطق وثقيلة على السمع.

٣- تنوع الأسلوب بتنوع المقامات وتنوع أحوال السامعين ومراعاة أحوال الخطيب وعمله ومنصبه وما يليق صدوره عنه وما لا يليق فلكل مقام نوع من الأساليب ففي مقام التهديد تختار الأساليب الفخمة والعبارات الضخمة, وفي مقامات التأبين وإظهار الألم والأسى نختار العبارات السهلة الرقيقة المؤثرة,

---

[١] - شرح الأزهرية الجديد للصف الثاني الإعدادي – ص ٥- تأليف كل من الأساتذة : عبد اللطيف خليف- إبراهيم عبدالوهاب- محمد محمد عباس – علي علي كرسون- طبعة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠- ٢٠١١م – الناشر مطابع دار اليوم.

وكذلك لكل قوم خطاب فالعامة نختار لهم العبارات الساذجة حتى لا تعلو على إفهامهم ولا تسمو على مداركهم.

والعلماء يخاطبون بعبارات منتقات دقيقة محكمة.[1]

آراء ابن تيمية في أسلوب ومضمون الخطابة

إن من حقائق التواصل العلني والفكري والعاطفي بين الداعية والمدعوين أن ينقل إليهم ما لديه من أفكار ودوافع عاطفية في عقول وقلوب المدعوين ليعرفهم الدافع الأساسي لهذه الخطبة وما يريد منهم, وكيف يكون هذا المراد من قلب محب لهم مشفق عليهم ناصح أمين إلى قلوب لاهية أو غافلة شاردة عن إتباع الحق, وهذه صيحة مدوية بكلمات قوية ملتهبة موجهة لهم لكي يتيقظوا وينتبهوا فيحذروا من هذه الأخطار التي تحلق بهم في الداخل والخارج هذه الكلمات تنطلق من عقيدة راسخة وإيمان قوي بكلمات بليغة مع عاطفة صادقة يناقش فيها الداعية قضايا الأمة أو يعلق بها على حدث وقع أويعالج أمرًا من الأمور أو مرضًا من الأمراض الاجتماعية ساد في المجتمع الإسلامي كل هذا بأسلوب بليغ من القول يطرح فيه الداعية مشروعًا مفيدًا للأمة يحركها بدافع الإثارة والغيرة حرصًا على مصلحتهم أخذًا بأيديهم بعيدًا عن مواطن التهلكة.

أسلوب ومضمون الخطابة:

ويتضح رأي ابن تيمية في أسلوب ومضمون الخطابة فيما يلي:

١- يرى ابن تيمية أن الخطابة عريقة عند العرب في الجاهلية فلقد كان لهم خطباء مشهورين لهم وزن وثقل في المجتمع.

٢- الرسول ρ هو أخطب العرب بل كان أقدرهم بكل ما يتعلق بالخطابة من المعاني والألفاظ والأداء لا يضاهيه أحدًا من البشر.

٣- ظهر في زمن النبي ρ خطباء بارعون كانوا يخطبون بين يدي النبي ρ ويستمع إليهم ويقرهم مثل: أبي بكر الصديق, وثابت بن قيس بن شماس[1], الذي كان يلقب بخطيب رسول الله ρ وزياد بن أبيه [2]من أخطب الناس وأبلفهم ....

---

[1] - انظر – خطبة الجمعة أهميتها تأثيرها – واقعها , كيفية النهوض بها – إعداد محمد عبد اللطيف الرفاعي: ص ٢٠٨. بتصرف.

ومعاوية كان خطيبًا, وكانت عائشة من أخطب الناس.[٣] وهو بهذا يوصل هذا الأسلوب وأنه اسلوب في الدعوة من أساليب النبوة وخلفاء النبوة وسائر السلف الصالح كمن بعدهم.

مضامين الخطابة

لتكون الخطابة من مجموعة المضامين في نظر ابن تيمية أوجزها فيما يلي:

الخطبة في نظر ابن تيمية تتكون من مجموعة المضامين ذات الأهمية التي بمجموعها تؤدي إلى التكامل, فالخطابة – موقف ولفظ ومعنى وآراء.

وهذه المضامين يوضحها ابن تيمية رحمه الله بقوله:"

أ- الخطابة موقف:

الذين يدعمون كلامهم بمواقف فعالة وإيجابية يبرزون بها عن غيرهم, إنما يضعون في كلامهم مصداقية القبول والتأثير؛ لأن الناس في حال الاضطراب والفتن والأمور غير الاعتيادية يحتاجون إلى رجال أصحاب مواقف يظهر فيها الشجاعة والثبات والإقدام والحكمة والحنكة والقدرة السريعة على التفكير والتدبير والمبادرة إلى التحرك العملي في اتخاذ مواقف يتصرف الناس على ضوها تجلب لهم الطمأنينة وتوضح لهم غوامض الأمور ؛ لذا نرى الصحابة رضوان الله عليهم يغبرون عن مثل هذا في سرورهم واغتباطهم بمواقف الصديق بعد وفاة النبي ρ قال أنس خطبنا أبو بكر عقيب وفاة النبي ρ وإنا كالثعالب فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود" [٤]

وقد رأينا ابن تيمية رحمه الله وهو يقف مثل هذه المواقف حينما زلزل المسلمون زلزالا شديدًا في الشام في عدد من المرات حتى طاشت عقولهم فمازال بهم يثبتهم ويقوي عزائمهم بكلمات إيمانية و مواقف بطزلية حتى يطمئنوا ويسكنوا وترجع إليهم عقولهم من ذلك في شنة ٧٠٠هـ في أول شهر صفر وردت الأخبار بأن يريدون بلاد الشام والتوجه إلى مصر فحاف الناس وانزعجوا وبلغت القلوب الحناجر, وأخذوا في الهروب إلى مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة يختمون بها من العدو, وللدلالة على هذا الحال يخبرنا

---

[١] – هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بم امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي خطيب النبي ρ و الأنصار بشرهم رسول الله ρبالجنة وقال عنهم : نعم الرجل ثابت بن قيس, شهد أحد وما بعدها من الغزوات واستشهد يوم اليمامة وكان متحنطًا – انظر : الإصابة في تمييز الصحابة– أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي– الناشر : دار الجيل – بيروت–الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

[٢] - - زياد بن أبيه * وهو زياد بن عبيد الثقفي، وهو زياد ابن سمية، وهي أمه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه (١) معاوية بأنه أخوه.- ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق وهو مراهق. وهو أخو أبي بكرة الثقفي الصحابي لامه ثم كان كاتبا لابي موسى الاشعري زمن إمرته على البصرة.- و كان يضرب به المثل في النبل والسؤدد- جمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من أبي الحسن فأصابه حينئذ طاعون في سنة ثلاث وخمسين.- اتظر سير أعلام النبلاء- الطبعة التاسعة ١٤١٣ ه ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة بيروت- ٤٩٤/٣.

[٣] - انظر منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٥١, ٥٢, ٥٣.- تحقيق محمد رشاد مسلم- الطبعة الثانية – الناشر مكتبة ابن تيمية.

[٤] - انظر منهاج السنة لابن تيمية ١٣٩/٦- ٨/ ٨٣.- تحقيق محمد رشاد مسلم- الطبعة الثانية – الناشر مكتبة ابن تيمية.

ابن كثير عن غلاء وسائل النقل غلاءً فاحشًا حيث بلغ أجرة الحمار إلى مصر (٥٠٠) وبلغ ثمن الجمل (١٠٠٠) و الحمار بـ (٥٠٠) وباع الناس ممتلكاتهم من الثياب والأمتعة والأشياء الغالية بأرخص الأثمان, وفي اليوم الثاني منه لم يصر رجل الملة رجل الملمات والمهمات الصعبة في الأمة خصوصًا لما رأى الأمراء والفقهاء والقضاة وأعيان التجار يسابقون العامة في الخروج من دمش.

جلس شيخ الإسلام في مجلسه في الجامع بدمشق خطيبًا يحرض المؤمنين على القتال ويسوق لهم الآيات والأحاديث الواردة في فضل الجهاد ومنزلة المجاهدين والشهداء ونصر الله للمؤمنين وولايته ومعينه لهم ويقص عليهم من حوادث السلف وفعالهم وينهي عن الإسراع في الفرار ويرغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم.

وقال لهم ما تنفقونه من أجرة الهروب والخروج من بلادكم تاركين كل شيء خلفكم لو أنفقتموه في الجهاد والإعداد له لكان خيرًا في الدب والدنيا وأفتى بوجوب الجهاد ضد التتار في هذه الكرة, وأن النصر متحقق بإذن الله.[١]وتابع المجلس في ذلك مرارا واتصل بنائب السلطان والأمراء والأعيان ممن لم يهرب وقوى عزائمهم وثقتهم ويقينهم بربهم فكان ثمرة ذلك أن نودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة فتوقف الناس عن السير وسكن جأشهم...)[٢]

و ابن تيمية من هذا القليل جمع في هذا الموقف رباطه الجأش والشجاعة والكلمة الإيمانية الصادقة والتدبير الحكيم والمبادرة قبل فوات الأوان فاجتمع فيما يرى الناس ويسمعون قوة وثبات في المواقف ومناسبة في المعنى وصدق في الكلمة مع التصميم والإرادة العالية مع الأداء الذي يتفق في إيقاعه اللفظي ونغماته مع رهبة الموقف رباطة الجأش التي ترى في بشاشة الوجه مع كل حرف وكلمة.[٣]

ب– الخطابة لفظ ومعنى:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ρ أن يقول قولا بليغًا هي البلاغة المأمور بها. يجيب ابن تيمية على هذا فيقول:" هي علم المعاني والبيان فيذكر من المعاني ما هو أكمل مناسبة للمطلوب ويذكر من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب أو غاية الممكن من المعاني بأتم ما يكون من البيان فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة وبين تبيينها بأحسن وجه"[٤]

فبلوغ الغاية في انتقاء المعاني في الجيدة والآراء والأفكار الصائبة التي تفي بتحقيق المراد أمرًا مطلوب ووصفها من غير تنفيش في قوالب لفظية ومضامين كلاكية.

---

[١] - البداية والنهاية - ابن كثير – ١٣/١٤ – الناشر دار الحديث – القاهرة – بدون تاريخ.

[٢] - المصدر السابق ٢٣/١٤.

[٣] - انظر - البداية والنهاية - ابن كثير – ٢١/١٤- ٢٣.

[٤] - انظر-منهاج السنة النبوية- المؤلف : شيخ الإسلام بن تيمية- المحقق : د. محمد رشاد سالم- الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

المبحث الثالث
إعداد الخطيب فنيًّا

تمهيد:

إن الإلقاء الخطابي من أهم العوامل في نجاح الخطبة أو فشلها ونقصد بالإلقاء الخطابي هنا: هو طريقة التحدث بها إلى الناس ومن ثم يقول الدكتور عبد الجليل شلبي عن أهمية الإلقاء:" قد تكون الخطبة حيدة المعاني والأفكار حسنة العبارات والأسلوب ثم لا تظفر بإلقاء جيد فتضيع فائدتها إذ لايفهمها السامعون ولا تجذب انتباههم وقد تكون أقل من ذلك في إعدادها وتكوينها, ولكن جودة إلقائها تنهي إلى السامعين كل جزئية منها فتكون فائدتهم منها أكبر وأكثر, والخطيب الموفق هو الذي يستطيع أن يشد السامعين ويربطهم به فيتابعون أفكاره, ويشاركون انفعالاته وعواطفه, وأكثر من هذا أن تكون الخطبة موحية تولد فيهم أفكارًا ومعاني حيدة وتوقظ عواطفهم وتوجه مشاعرهم إلى مايدعو إليه شيء من هذا إلا مع الإلقاء الجيد المثير.[1]

حسن الأداء:

فالأداء الخطابي هو إلقاء الخطبة بما يليق بها من حسن اللفظ وموافقته الصوت وحركات الجسم- وشأنه في الخطابة عظيم لأنه بحسن الأداء ينقل إلى نفس السامع مشاعره ويحرك أهواءه ويجذبه إلى حيث يقصد من الغاية وبحسن الأداء يجعل للخطابة فشلا على قراءتها في صحيفة فكم من خطبة يحسن الرجل إلقاءها فيجد الناس في سماعها الارتياح وهزة الطرب فوق ما يجدون عندما يقرؤونها في صحيفة أو يستمعون إلى من يسردها عليهم سردًا متشابهًا فالخطبة دون جودة الأداء شجرة غير مثمرة وجسم لا روح فيه.[2]

---

[1] - انظر- فن الخطابة وإعداد الخطيب- للشيخ علي محفوظ : ص ٦٤ بتصرف— طبعة دار الاعتصام- بدون تاريخ.

[2] - - انظر- فن الخطابة وإعداد الخطيب- للشيخ علي محفوظ : ص ٦٤ بتصرف— طبعة دار الاعتصام- بدون تاريخ.

المطلب الأول
المهارات الصوتية للخطيب

جهارة الصوت وقوته كان العرب يفضلون في الرجال أن يكون واسع الأشداق ويصفون الخطيب الجيد بأنه أشدق, وكل متفوه ذو بيان فهو أشدق, واشتهر بهذا اللقب عمرو بن سعيد الأموي؛[1] لأنه كان من الخطباء المشهورين ويتوقف الصوت القوي أيضًا على قوة الحنجرة وقوة الصدر والرئتين, وهذه صفات خلفية ومردها كلها إلى إجادة الصوت وجهارته وحسن بيان الحروف ومخارجها, وفي الوقت الحاضر سدت مكبرات الصوت سد هذه الصفات إلى درجة كبيرة , وإن كانت لا تغني عنها نهائيًّا [2].

فللصوت في الخطابة التأثير الأكبر لأنه المترجم عن مقاصد الخطيب والكاشغ عن أغراضه لمصاحبتها للألفاظ كالشارح لما أريد بها مما لا تستقل بالكشف عنه؛ ولأنه الطريق إلى قلب السامع والممثل لصورة المعاني أمامه وطبقة الصوت واللفظ وهيئة الوجه وحركات الجسم كلعل تتضافر على بيان ما في النفس وتصوير ما بالخاطر فعلى الخطيب أن يراعي بحسن اللفظ وأن يعطي كل حق حقه من الوضع المتعارف بين الأدباء يخرجه من مخارجه الطبيعية مع اجتناب لهجة العامة الفصحى في الخطابة ألذ على الأسماع وأشهى للنفوس وأقرب إلى فهم السامعين من أي طبقة كانوا متى كان الخطيب فصيح اللسان حسن البيان, يعبر عما في نفسه بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس والخفاء ولا بأس إن تملم بين الدهماء أن يتقرب منهم ويخاطبهم بلغتهم دون ركة ووحشية إذا اقتضى الحال ذلك.

اعتدال الصوت وموافقته للأحوال والظروف.

فإنه يختلف باختلاف الحضور والمكان فيحتاج المكان الرحب مع وفرة السامعين إلى صوت أدق وأجهر. والتفنن فيه أن يجعله طلق المعاني التي يصورها بالألفاظ ويمثلها بالصوت؛ بأن يعطي ألفاظ الاستفهام والتعجب والتوبيخ والتقريغ والزجر والتفخيم والتهويل والتحزن والندم والحيرة والوعد والوعيد وما إلى ذلك حقها في النطق فيكيف الصوت فيها بكيفيات خاصة وانفعالات تتناسب مع المعنى الذي يقصد حتى يثير في نفس السامع الرفبة والرهبة والانزعاج والندم ويحدث فيها هزة الفرح والارتياح والنشاط تبعًا لسير المعنى الذي يتكلم فيه, وأن يخفض صوتهفي موضع الخفض واللين ويشتد في وضع الشدة ويتأفف في موضع التأفف, ويتضامن في موضع التضامن كالدعاء والاستعطاف والاسترحام واستنداء الأكف عند جمع المال للأعمال النافعة أو الإنفاق على بيوتات مجد أهنى عليها الدهر وما إلى ذلك وأن يشمخ بأنفه ويظهر العزة وعلو النفس في مواضع الفخر والحماسة, وذكر شرف العلم والتقوى وأن يتأثر حتى

---

[1] - هو عمرو بن سعيد الأموي- كان مروان بن الحطك وعده أن يجعله ولي عهده, ثم ولى ابنه عبد الملك فكان بينه وبين عمرو هذا عداء حتى قتله عبد الملك أخيرًا - الخطابة وإعداد الخطيب- د/ عبد الجليل شلبي ص ٣٩ بالهامش – دار الشروق – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

[2] - - المصدر السابق ص ٣٩.

يظهر أثر الانفعال المعتدل في صوته وإشارته وملامح وجهه عند ذكر حادثة مؤلمة أو حكاية خطب فظيع, أو ندم على فوات طلب عزيز بحيث تكون لهجته في جميع ذلك لهجة خطابة لا لهجة تلاوة.[1]

النطق الحسن:

النطق الحسن هو الدعامة الأولى الإلقاء الجيد وإذا اعترض النطق ما يفسده ضاع الإلقاء وضاعت معه الخطبة وأثرها, وفقد الخطيب ما يسمو إليه من وراء البيان, إذ لا شيء يذهب بالمعنى الجيد أكثر من النطق الرديء, وكثير ما يفهم المعنى على غير وجهه؛ لأنه النطق قلبه, ولم يصوره تصويرًا صادقًا, والنطق الجيد يحتاج إلى عناصر أربعة لابد من توافرها, فإذا فقد الخطيب واحد منها ذهب أحد أركان بيانها وهي :

١-تجويد النطق: ويكون بإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة, وهذا يقتضي سلامة المخارج وبراءة الخطيب من الفأفأة.[2] وغيرها من العيوب البيانية.[3]كالنطق بالشين سينًا مثلا أو بالراء غينًا, او بالكاف تاء, فذلك يضيع بهاء الخطبة, وقد يوقع السامعين في لبث أو على الأقل يكلفهم شيئًا من المشقة في فهمه[4].

٢- مجانبة اللحن, وتحري عدم الوقوع فيه ويكون بتصحيح الخطيب للكلام الذي ينطق به وملاحظة في مفرداته وعباراته وملاحظة تامة, وهذا ما يتحصل بالمران والداسة على أهل العلم.

٣- تصوير النطق بالمعاني تصويرًا صادقًا ويكون بإعطاء كل كلمة وكل عبارة حقها وأن يظهرها بشكل تتميز به عن سواها فالجملة المؤكدة ينطقها بشكل يدل على التوكيد في النغم كما دل اللفظ, والجمل الاستفهامية ينطقها بشكل يدل على الاستفهام وهكذا.

٤- التمهل في الإلقاء وليس معنى ذلك أن يلوف الكلام ويجتر العبارة وإنما أن يعطي الحرف حقه كاملا فلا يدخله في سابق ولا في لاحق, وأن يراعي الوقوف فلا يصل المقاطع والجمل والفقرات بعضها ببعض, فيلتبس المعنى ويضيع المقصود ويصعب على السامع فهمه وإدراك مرماه.[5]

ثانيًا المهارات الأدائية ونجملها فيما يلي:

تلوين الصوت وتكييفه: فيجهر الخطيب مرة ويعلو صوته ويلين أخرى حتى يكون كلامه همسًا كما يسرع في جمله ويمد صوته في أخرى ولابد أن يميز لهجة الاستفهام من لهجة الخبر.. وهكذا ويزري بالخطبة

---

[1] - – انظر– فن الخطابة وإعداد الخطيب– للشيخ علي محفوظ : ص ٦٥ بتصرف– طبعة دار الاعتصام– بدون تاريخ.

[2] - الفأفأة هي : (ترديد الفاء بكثرة في الكلام)- القاموس المجيط ٢٠٤/١.- مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

[3] -- انظر – خطبة الجمعة أهميتها تأثيرها – واقعها , كيفية النهوض بها – إعداد محمد عبداللطيف الرفاعي: ص٢١٧ بتصرف.

[4] - انظر– فن الخطابة وإعداد الخطيب– للشيخ علي محفوظ : ص ٦٤ بتصرف– طبعة دار الاعتصام– بدون تاريخ.

[5] -- انظر – خطبة الجمعة أهميتها تأثيرها – واقعها , كيفية النهوض بها – إعداد محمد عبداللطيف الرفاعي: ص٢١٨ بتصرف.

ويذهب بتأثيرها أن يكون صاحبها رتيب الصوت مطرد النغم تجري كل عباراته على وتيرة واحدة وبعض الخطباء يثير الناس بحسن إلقاءها فإذا قرئت الخطبة بعد ذلك كانت قليلة التأثير لأن تأثيرها في الواقع كان راجعًا إلى حسن إلقائها لا إلى حسن تأليفها, وقد يكون الأمر على العكس من ذلك وخير الخطيب ما جمع بين حسن التأليف و حسن التأثير وتلوين الصوت يأتي من الدربة ومن انفعال الخطيب نفسه بخطبته فيكون تكييف الصوت نتيجة انفعاله وتأثره فإذا عدم هذا الشعور كان قارئًا لا خطيبًا.[1]

[1] - الخطابة وإعداد الخطيب- د/ عبد الجليل شلبي ص ٤١- دار الشروق – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

المطلب الثاني
المهارات الجسدية للخطيب

أولا: الإشارة

الإشارات هي لغة منظورة أو لغة متحركة مفهومة, فإذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت أثرًا عظيمًا.

يقول- د/ عبد الجليل شلبي:

لابد لجودة الإلقاء من الإشارات باليد أو بغير اليد أيضًا فإن هذه الإشارات مما يوضح المعنى ويثبت أثره في سامعه وفي هذا يقول الجاحظ[1]:"والإشارة واللفظ شريكا ونعم العون له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تثوب عن اللفظ وتغنى عن الخطأ.

وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة .

و حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة مع الدال والشكل والتفتل والتشني واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور .

و الإشارة أيضا وليدة الانفعال والتأثر, فالخطيب الذي لا يكون متأثر بكلام نفسه يفقد أهم صفات الخطيب المؤثرة[2].

الوقفة: وقفة الخطيب باعتدال أمام الجمهور في مكان مشرف عليهم أثرها في اجتذاب انتباههم غلى الخطبة والانتفاع بها.[3]

الطريقة الجيدة في الإلقاء الخطابي:

الطريقة الناجحة في الإلقاء أن يضع الخطيب نصب عينيه أن عليه أن يفهم سامعيه ما يقول, وأن يستميلهم إلى أفكاره ويقنعهم بها وهو لهذا يبدأ كلامه بلهجة هادئة عادية, لهجة من يتحدث إلى شخص في موضوع ما ليفهم أبعاده وعناصره, وليقتنع به ثم ليحبه, وفي هذا الإلقاء الذي يبدأ بلهجة متكلم غير متصنع يجد الخطيب صوته قد ارتفع ونبراته قد تكيف ويجد سمات الإخبار و الاستفهام والتعجب والدهشة والسخرية وما إليها قد ظهرت تلقائيًا في هذا الحديث,وهذا وليس من المناسب أن يبدأ خطبته ثائرًا منفعلا, كما أنه ليس ممن المناسب أن يظل على نبرات رتيبة, وهذا غالبًا أو قطعًا يرجع إلى انفعال الخطيب بما يقول.ولهذا تفتر الخطبة إلقاءً وتأثيرًا إذا كانت مكررة لا أثر لها في نفس الخطيب, وبهذا نرى أن الإلقاء مرتبط بموضوع الخطبة ومعانيها.[4]

---

[1] -- انظر – خطبة الجمعة - محمد عبداللطيف الرفاعي: ص٢١٨ بتصرف.

[2] – الخطابة وإعداد الخطيب- د/ عبد الجليل شلبي ص ٤٢- دار الشروق – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

[3] -- انظر – خطبة الجمعة - محمد عبداللطيف الرفاعي: ص٢١٨ بتصرف.

[4] - الخطابة وإعداد الخطيب- د/ عبد الجليل شلبي ص ٤٣-وما بعدها.

١ – الخطابة أداءً:

الأداء في الخطابة يكون متناسبًا ومتناسقًا مع متطلبات الموقف الذي يخطب ويتكلم من أجله ويحصل به على جذب ذهن المخاطب وشد انتباهه كالوقوف والحركة والإشارة وتغيير ملامح الوجه ورفع الصوت وتغيير الهيئة التي عليها الإنسان حين بداية خطابته كأن يغير من وضع, سلوكه, أو وضع قيامه, أويشير بيده أو يهزها وهذا كله وارد عن رسول اللهρ كما جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم»، ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى، ويقول: «أما بعد،.."

والرسول ρ كان يخطب في غير الجمعة أحيانًا واقفًا ويحدث أصحابه ويطيل حتى يراوح بين رجليه من طول القيام, جاء ذلك فيما رواهأوس بن حذيفة، قال: قدمنا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في وفد ثقيف، فنزلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بني مالك في قبة له، فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش، ويقول: "ولا سواء؛ كنا مستضعفين مستذلين، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال عليهم ويدالون علينا..." وجملة القول أن الخطابة استعداد فطري ينمو بالممارسة العملية, وأن الخطيب لن يؤثر في سامعيه إلا إذا اكتملت ثقافته العلمية واكتسبت من المهارات الصوتية والجسدية ما يجعله يجذب من يخطب فيهم.

وقد لخصت في هذا البحث المتواضع بعض ما ذكره أهل هذا الشأن والله من وراء القصد وهو هادي السبيل.

تم بحمد الله,,,

أهم المراجع

١. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول- الشوكاني- طبعة مصطفى الحلبي- الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م-
٢. الإصابة في تمييز الصحابة- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- الناشر : دار الجيل — بيروت-الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.
٣. أصول الفقه- أبو زهرة - طبعة دار الفكر العربي .
٤. أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام : د/ محمد أمان بن علي الجامي — راجع الكتاب وخرج نصوصه عبد الرحمن بن عبد الجبار الغريواني — الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م- الناشر دار الجيل بيروت.
٥. البداية والنهاية - ابن كثير — الناشر دار الحديث — القاهرة — بدون تاريخ.
٦. التاريخ وأهميته في رواية الحديث ومغرفة الرجال: د/ ملفي بن حسن الشهري- الناشر دار المحدثين للتحقيقات العلمية والنشر.
٧. تذكرة الدعاة للبهي الخولي - الطبعة الثامنة — ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م — الناشر : مكتبة دار التراث — الجمهورية- الفاهرة.
٨. التعريفات — الجرجاني- دار الكب العلمية — بيروت- الطبعة الثالثة — ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٩. ثقافة الداعية- يوسف القرضاوي— مكتبة وهبة — الطبعة التاسعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م,
١٠. الخطابة في موكب الدعوة — أ.د/ محمد محمود عمارة— الناشر دار الرسالة للطباعة بدون.
١١. الخطابة وإعداد الخطيب- د/ عبد الجليل شلبي— دار الشروق — الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٢. خطبة الجمعة — أهميتها تأثيرها, واقعها ,كبفية النهوض بها- إعداد محمد عبد اللطيف الرفاعي- إشراف د/ محمد منير سعد الدين — الطبعة الأولى ١٩٩٥م — ١٤١٥هـ.
١٣. الدعوة الإسلامية- أ.د/ أحمد غلوش ص ١٣٨ بتصرف.
١٤. سنن ابن ماجة -تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي — طبعة دار الفكر بيروت.
١٥. سنن الترمذي -- ط دار الحديث بالقاهرة
١٦. سير أعلام النبلاء- الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة بيروت.
١٧. شرح الأزهرية الجديد للصف الثاني الإعدادي تأليف كل من الأساتذة : عبد اللطيف خليف- إبراهيم عبدالوهاب- محمد محمد عباس — علي علي كرسون- طبعة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠- ٢٠١١م — الناشر مطابع دار اليوم.

١٨. الصحاح للجوهري- دار الحضارة العربية- بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٥م.
١٩. صحيح البخاري- ط دار الريان – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٢٠. صحيح مسلم – طبعة دار الفكر العربي – بيروت- الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري – ط دار الريان ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م –
٢٢. فقه الدعوة إلى الله الأستاذ الدكتور/ حسن عبد الرؤوف محمد البدوي –الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٣. فقه السيرة للدكتور/ محمد سعيد البوطي- دار السلام – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٤. فن الخطابة وإعداد الخطيب- للشيخ علي محفوظ - بتصرف– طبعة دار الاعتصام- بدون تاريخ.
٢٥. القاموس المحيط – مجدد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي –مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٢٦. لسان العرب– دار صادر- بيروت – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٧. المعجم الوسيط –مجمع اللغة العربية- مطابع الدار الهندسية- القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٢٨. معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي - دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٢٩. مقدمة ابن خلدون- ط- دار الشعب – تحقيق : على عبد الواحد وافي بدون تاريخ.
٣٠. منهاج السنة النبوية- المؤلف : شيخ الإسلام بن تيمية- المحقق : د. محمد رشاد سالم- الطبعة الثانية ١٩٨٩م.
٣١. منهج الدعوة إلى الله تعالى – أ.د/ حسين مجد خطاب– الطبعة الرابعة – ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٢. النظم الإسلامية - د/ يسري محمد هاني , ود/ محمد المصطفى عبد المقصود - الطبعة بدون تاريخ.
٣٣. هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ – ط: دار الاعتصام بدون تاريخ.